٣- الفـــارابى

فى العالم الاسلامى وفي أوربا

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

للأستاذ ضياء الدخيلى

قال الغزالى (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ الموافقة سنة ١١١٠ م) فى كتابه تهافت الفلاسفة : ثم المترجمون لكلام أرسطاطاليس لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج إلى تفسير حتى أثار ذلك أيضا نزاعاً بينهم، وأقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة فى الإسلام الفارابى أبو نصر وابن سينا ، فنقتصر على إبطال ما اختاروه ورأوه الصحيح من مذهب رؤسائهم فى الضلال فإن ما هجروه واستنكفوا من المتابعة فيه لا يتمارى فى اختلاله ، ولا يفتقر إلى نظر طويل فى إبطاله (١)

وقال الغزالى فى (المنقذ من الضلال) : رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله من الإلاهيين ردا لم يقصر فيه حتى تبرأ من جميعهم إلا أنه استبق أيضا من رذائل كفرهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابى وأمثالهما ... على أنه لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من المتفلسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهما لا يخلو من تخبط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم وما لا يفهم كيف يرد أو يقبل ؟ ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين ينحصر فى ثلاثة أقسام: قسم يجب التفكير به، وقسم يجب التبديع به، وقسم لا يجب إنكاره أصلا فلنفصله (٢)

فترى الغزالى فى التهافت قد أثنى على ما نقله الفارابى من فلسفة أرسطو ووسمه بالاستقامة ، وفى المنقذ كفره مع إطرائه جهوده فى النقل

(١) تهافت الفلاسفة للغزالى ص ٩ من الطبعة الكاثوليكية

(٢) المنقذ من الضلال للغزالى ص ٨٥ ـ ٨٨ من طبعة دمشق الثانية

أعلم ، نأخذ منكم ونرد عليكم، فما فارقوه حتى مات

وروى السائب بن يزيد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبى هريرة « لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس أى (إلى بلاده) وقال لكعب الأحبار : لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة

ونهاهما كذلك عن الرواية عثمان بن عفان

وكان عمر يقول : أقلوا الرواية عن رسول الله إلا فيما يعمل به. ولا غرابة فى أن يفعل عمر ذلك لأنه كان لا يعتمد إلا على القرآن والسنة العملية ، فقد روى البخارى عن ابن عباس أنه لما حضر النبى (أى حضرته الوفاة) وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبى : « هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده » فقال عمر إن النبى غلبه الوجع وعندكم كتاب الله فحسبنا كتاب الله

وروى ابن سعد فى الطبقات عن السائب بن يزيد أنه صحب سعد بن أبى وقاص من المدينة إلى مكة قال : فما سمعته يحدثنا عن النبى حديثا حتى رجع ، وسئل عن شئ فاستعجم وقال : « إنى أخاف أن أحدثكم وأحدا فتزيدوا عليه المئة . وسعد هذا من العشرة المبشرين بالجنة ومن كبار الصحابة

وعن عمرو بن ميمون قال : اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة فما سمعته فيها يحدث عن رسول الله ، ولا يقول قال رسول الله؛ إلا أنه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه ، قال رسول الله ! فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبينه ثم قال : إن شاء الله إما فوق ذاك أو قريب من ذاك وإما دون ذاك »

وأخرج أحمد وأبو يعلى عن دجين قال : قدمت المدينة فلقيت أسلم مولى عمر بن الخطاب فقلت حدثنى عن عمر فقال : لا أستطيع، أخاف أن أزيد أو أنقص ! كنا إذا قلنا لعمر ، حدثنا عن رسول الله قال أخاف أن أزيد أو أنقص

وأخرج الدارقطنى عن عبد الله بن عامر ، قال : سمعت معاوية يخطب على منبر دمشق قال :

« إياكم وأحاديث رسول الله إلا حديثا ذكر على عهد عمر . إن عمر كان يخيف الناس الله -- ورواية الدارمى — انتهوا الروايات عن رسول الله إلا ما كان يذكر منها فى زمن عمر ، إن عمر كان يخوف الناس فى الله تعالى »

ومن المنتظر أن لا يعف عن الطعن فى أبى نصر وفلسفته من اتبع خطوات الغزالى وسار فى ركابه كابن العماد الحنبلى الذى حمل عليه فى (شذرات الذهب) مقتطفا كلمات للغزالى دعم بها هجومه على هذا الفيلسوف الجليل فقال عنه(٣) الفارابى ذو المصنفات المشهورة فى الحكمة والمنطق والموسيقى التى من ابتغى الهدى فيها أضله الله . وكان مفرط الذكاء ، وقال ابن الأهدل قيل هو أكبر فلاسفة المسلمين لم يكن فيهم من بلغ رتبته وبه أى بتآليفه تخرج ابن سينا. وكان يحقق كتاب أرسطاطاليس وكتب عنه فى شرحه سبعين سفراً ولم يكن فى وقته مثله ولم يكن فى هذا الفن أبصر من الفارابى. ويقال إن آلة القانون من وضعه . قال الفقيه حسين هؤلاء الثلاثة متهمون فى دينهم يعنى الفارابى والكندى وابن سينا فلا تغتر بالسكوت عنهم. انتهى ما أورده ابن الأهدل ملخصا. استمر الحنبلى فى حديثه قائلا: وبالجملة فأخباره وعلومه وتصانيفه كثيرة شهيرة؛ ولكن أكثر العلماء على كفره وزندقته حتى قال الإمام الغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال) : لا نشك فى كفرهما أى الفارابى وابن سينا . وقال فيه أيضا وأما الإلاهيات ففيها أكثر أغاليطهم وما قدروا على الوفاء بالبرهان على ما شرطوا فى المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيما من مذهب الإسلاميين الفارابى وابن سينا ولكن مجموع ما يخاطون فيه يرجع إلى عشرين أصلا يجب تكفيرهم فى ثلاثة منها وتبديعهم فى (١٧) ولإبطال مذهبهم فى هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت . وقال الغزالى فى (المنقذ من الضلال) القسم الثالث الإلاهيون وهم المتأخرون مثل سقراط وهو أستاذ أفلاطون ، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس وهو الذى رتب لهم المنطق وهذب العلوم وأوضح لهم ما كان أنحى من علومهم. وهم بجملتهم ردوا على المصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية وأوردوا فى الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم. ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله من الإلاهيين ردا لا يقصر فيه حتى تبرأ من جميعهم إلا أنه استبقى من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من الإسلاميين كابن سينا والفارابى وأمثالهما على أنه لم يقم بعلم أرسطاطاليس أحد من المتفلسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهم ليس يخلو من تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب الطالع حتى لا يفهم ومالا يفهم كيف يرد أو يقبل ... ؟ ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين ينحصر فى ثلاثة أقسام : قسم يجب التكفير به ، وقسم يجب التبديع به ، وقسم لا يجب إنكاره أصلا) وبعد ما أورد ابن العماد الحنبلى هذا فى كتابه (شذرات الذهب) أردفه بقوله انتهى ما قاله حجة الإسلام الغزالى فرحمه الله تعالى رحمة واسعة. فانظر ما يجر إليه علم المنطق وما يترتب عليه التوغل فيه ولهذا حرمه أعيان الأجلاء كابن الصلاح والنواوى والسيوطى وابن نجيم فى أشباهه وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم وإن كان أكثر الحنابلة على كراهته . قال الشيخ فى غاية المنتهى مالم يخف فساد عقيدة أى فيحرم ...

وأقول إن ما أورده ابن العماد الحنبلى هذا لا يمثل وجهة نظر عامة المسلمين وإنما هو مما تحجرت عليه أدمغة الحنابلة والرجعيين والجامدين فلا يتخذن أعداء الإسلام من هذا المذيان منفذاً للطعن فيه بأنه دين يكره التفكير الحر والمنطق. ورحم الله الإمام الشيخ محمد عبده فقد كفانا فى جولاته وصولاته مع من حاول ذلك الطعن فى الإسلام من أمثال فرح أنطون صاحب كتاب (ابن رشد وفلسفته) الذى جمع فيه مقالاته التى طعن فيها الإسلام بضيق صدره بالفلسفة وقد نشرها فى صحيفة (الجامعة) ورد عليه الإمام المذكور فى كتابه (العلم والمدنية فى الإسلام والنصرانية) وحين ذكر الفارابى — ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ فى كتابه (البداية والنهاية) لم يقس أن يطعن فى عقيدته فقال: (١) الفارابى التركى الفيلسوف كان حاذقا فى الفلسفة

(٣) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ص ٣٥٠

(١) البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٢٤ ج ١١ فيمن توفى سنة ٣٣٩ هـ من الأعيان

ومن كتبه تفقه ابن سينا. وكان يقول بالمعاد الروحانى لا الجثمانى ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة ، وله مذاهب فى ذلك يخالف بها المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين . مات بدمشق فيما قاله ابن الأثير فى كامله ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره فى تاريخه لفتنه وقباحته فالله أعلم ...) ويقصد بهذا الشتم القبيح من شاد صرح الفلسفة الإسلامية المعلم الثانى أبا نصر الفارابى فتأمل ...

والحق أن هذه الهجمات العنيفة من خصوم الفلسفة قد آذت الفارابى وشوهت سمعته فى العالم الإسلامى فصارت أبحاثه رمزاً للانحراف عن الإسلام وزيغان العقيدة كما توضح لك ذلك القصة التالية : جاء (١) فى كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) لتقى الدين أحمد بن على المقريزى : أنه فى سنة ٥٩٥ هـ عظمت الفتنة فى عسكر غياث الدين محمد ملك الغورية وكانت بلاد الغور تقع بأفغانستان بين هراة وغزنة وكانت مملكة إسلامية مستقلة بشؤونها منذ أوائل القرن الخامس الهجرى ثم فتحها محمود الغزنوى سنة ٤١١ هـ واستمرت تابعة للدولة الغزنوية وصاهر ملوكها سلاطينهم حتى سنة ٥٣٦ هـ حيث قضى الغركان على الدولتين الغزنوية والغورية معاً ثم جاء غياث الدين بن بسام فأسس ملكا جديداً على أنقاض الدولتين سنة ٥٦٩ هـ ... وكان سبب هذه الفتنة أن الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى الفقيه الشافعى المشهور كان قد بالغ غياث الدين فى إكرامه وبنى له مدرسة بغرب جامع هراة ومعظم أهلها كرامية ، والكرامية إحدى الفرق الإسلامية. ويذكر المقريزى أنها أتباع محمد بن كرام (بتشديد الراء) السجستانى وكلهم مجسمة زعموا أن الله جسم وله نهاية من جهة الأسفل الخ) قال تقى الدين المقريزى وأن أهل هراة أجمعوا على مناظرة الرازى وتجمعوا عند غياث الدين محمد معه وكبيرهم القاضى مجد الدين عبد المجيد بن عمر بن القدوة فتكلم الإمام فخر الدين مع ابن القدوة واستطال عليه وبالغ فى شتمه وهو لا يزيد على أن يقول (لا يفعل مولانا . لا آخذك الله؛ استغفر الله) فغضب الملك ضياء الدين له وهو ابن عم الملك غياث الدين وكان أشد الناس كراهة للفخر الرازى ونسب الإمام الرازى إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة وقام من الغد الخطيب بالجامع وقال فى خطبته (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . أيها الناس إنا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله ، وأما علم أرسطو وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابى فلا نعلمها فلا أدرى شئ يشتم بالأمس شيخ من شيوخ . الإسلام يذب عن دين الله وسنة نبيه ؟ وبكى وأبكى فثار الناس من كل جانب وامتلأت البلد فتنة فسكنهم السلطان غياث الدين وتقدم إلى الإمام فخر الدين بالعود إلى هراة فخرج إليها ثم فارق غياث الدين ملك الغورية مذهب الكرامية وتقلد الشافعي رحمه الله)

وهذه القصة توضح لنا كيف أن اسم فلسفة الفارابى كان مقروناً بالإلحاد والخروج على قواعد الإسلام فى دنيا المسلمين وهذا من نتائج حملات الرجميين الشنيعة على الفلسفة وأقطابها ، فهذا طاش كبرى زاده المتوفى عام ٩٦٢ هـ (١٥٥٤) يقول فى مفتاح السعادة ومصباح السيادة (كما نقل عنه صاحب كتاب قصة النزاع بين الدين والفلسفة) : (١) وإياك أن تظن أن الحكمة الموهة التى اخترعها الفارابى وابن سينا ونقحها نصير الدين الطوسى — ممدوحة ، هيهات هيهات، إن ما خالف الشرع فهو مذموم سيما طائفة سموا أنفسهم حكماء الإسلام عكفوا على دراسة ترهات أهل الضلال وسموها الحكمة وربما استهجنوا من عرى منها ... قيل فيهم

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا ... لصون دمائهم من أن تسالا
فيأتون المناكر فى نشاط ... ويأتون الصلاة وهم كسالى

الكلام صلة

ضياء الدرعلى

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ القسم الأول ص ٤٤ :

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ١٢٢